

الترجيح الأصولي في حكم العمل بالحسابات الفلكية

الأستاذ المساعد الدكتور سعيد أحمد صالح فرج

جامعة المدينة العالمية - ماليزيا -

الأستاذ المشارك الدكتور نور نعيمة عبد الرحمن

جامعة الملايا - ماليزيا -

ملخص البحث:

لما لهذه المسألة من ارتباط كبير في حياة المسلمين، وعبادتهم، جاءت فكرة هذا البحث، والذي يهدف إلى بيان كثير من المسائل الأصولية المتعلقة بحكم العمل بالحسابات الفلكية في إثبات دخول الشهر القمري، وقد اعتمد الباحثان على المنهج الاستقرائي التحليلي حيث عمدا إلى الأقوال في هذه المسائل وتجريد المسائل الأصولية في هذا الباب وتنقيحها عن ما سواها ثم النظر في مذاهب الأصوليين وتحليل هذه المسائل وترجيح المذهب الراجح في هذه المسائل دون النظر في أسانيد الأحاديث والمباحث الأخرى المتعلقة بالمسألة وتوصلا إلى عدة نتائج من أهمها أن الراجح من الناحية الأصولية أن الرؤية ليست علة، ولا سببا، ولا شرطا في ثبوت دخول الشهر القمري، الذي تترتب عليه الأحكام الشرعية، ولكنها وسيلة من الوسائل التي كانت مناسبة لعصر النبي صلى الله عليه وسلم وما بعده، ولكن اليوم مع التقدم العلمي الكبير الذي حظيت به هذه العصور، أصبحت الوسيلة المناسبة لإثبات دخول الشهر هو الحساب الفلكي، الذي أصبح التعامل اليوم على أساسه في مجالات شتى، وأصبحت نسبة الخطأ فيه شبه معدومة، وأنه لا يوجد إجماع في هذه المسألة، وأن السبب الشرعي لوجوب الصيام هو دخول الشهر وليست الرؤية.

مقدمة البحث

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، أما بعد ... فلما كان من أبرز المسائل في العصر الحاضر مسألة الاعتداد في الحساب الفلكي في ثبوت دخول الشهر القمري من عدمه، أحب الباحثان أن ينظرا في هذه المسألة من الناحية الأصولية فقط، ففي هذه الورقات يستعرضا فيها المسائل الأصولية في هذه المسألة، ثم الترجيح من وجهة نظر أصولية.

أهمية البحث:

تبرز أهمية البحث في عدة نقاط لعل من أهمها:

1. السعي إلى إنهاء الخلاف المستمر والمتكرر بين المسلمين في بداية الأشهر القمرية، وبخاصة أشهر رمضان وشوال وذو الحجة لتعلقها بالعبادات الرئيسية عند المسلمين.
2. تمكين المسلمين من عمل تقويم هجري دقيق للمستقبل، لا سيما في البلدان التي فيها أقلية مسلمة وتحتاج الدولة فيها التقويم من بداية العام لأجل تحديد أيام العطل الخاصة بالمسلمين.
3. إبراز المسائل الأصولية في هذه المسألة العصرية.

أهداف البحث.

يهدف هذا البحث إلى عدة نقاط لعل من أهمها:-

1. الوقوف على المسائل الأصولية في مسألة العمل بالحسابات الفلكية في إثبات دخول الشهر القمري.
2. النظر في هذه المسائل والترجيح من الناحية الأصولية.
3. النظر في قضية قياس الأولى في الوسائل الشرعية وجريانها في هذه المسألة.
4. الوقوف على السبب الشرعي لوجوب الصيام.

الترجيح الأصولي في حكم العمل بالحسابات الفلكية

مشكلة البحث.

تكمن مشكلة البحث في أن هذه المسألة من المسائل التي اختلف العلماء فيها كثيرا وقد اختلطت فيها المسائل الأصولية بغيرها من المسائل وعدم تحرير النزاع في مواطن كثيرة وينبثق عن هذه المشكلة الأسئلة التالية التي تكون أسئلة البحث وهي:

- 1- هل هناك إجماع في عدم جواز الاعتماد على الحساب الفلكي في إثبات دخول الشهر القمري؟
- 2- ما هو السبب الشرعي لوجوب الصيام، الرؤية أم دخول الشهر؟
- 3- هل كان العمل بالرؤية الشرعية لإثبات دخول الشهر القمري في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وما بعده معللا بعلّة؟
- 4- هل الرؤية وسيلة أم غاية؟
- 5- هل التعيين على الوسيلة من الشارع يقتضي العمل بها وعدم تغييرها عند الأصوليين؟
- 6- هل يجري قياس الأولى في الوسائل؟
- 7- هل نهي الشارع عن العمل بالحسابات الفلكية؟ وهل العمل بالرؤية عبادة في حد ذاتها؟

منهجية البحث.

اتبع الباحثان في هذا البحث المنهج الاستقرائي التحليلي حيث عمدا إلى أقوال الفقهاء والعلماء في هذه المسألة وحررا محل الخلاف في المسألة وبعد ذلك ميزا المسائل الأصولية عن غيرها وحررا المناط في هذه المسائل الأصولية ثم عمدا إلى سلوك منهج العلماء في الترجيح في هذه المسائل عن طريق النظر والاستدلال وبيان الراجح.

تقسيمات البحث.

قسم الباحثان هذا البحث بناء على المسائل الأصولية الواردة في هذه المسألة وهذا ما تقتضيه طبيعة هذا البحث فلأجل هذا جاء هذا البحث مكوناً من ست مسائل وهي:

المسألة الأولى: ادعاء الإجماع على عدم جواز استخدام الحساب الفلكي.

المسألة الثانية: سبب وجوب الصيام.

الترجيح الأصولي في حكم العمل بالحسابات الفلكية

المسألة الثالثة: علة العمل بالرؤية.

المسألة الرابعة: الرؤية وسيلة وليست غاية.

المسألة الخامسة: التعيين على الوسيلة من الشارع لا يقتضي عدم تغييرها.

المسألة السادسة: قوة الدلالة بين الحسابات الفلكية والرؤية البصرية.

الترجيح الأصولي في حكم العمل بالحسابات الفلكية

المسألة الأولى : ادعاء الإجماع على عدم جواز استخدام الحساب الفلكي.

هناك من العلماء من يذكر أن هذه المسألة من المسائل المجمع عليها، وقد ذكر الإجماع كلا من الصنعاني وابن رشد وابن تيمية والقرافي¹، ولكن هناك أقوال تخالف هذا الإجماع المدعى فقد نقل عن مُطَرِّف بن عبد الله الشَّخِير من التابعين، وأبي العباس بن سريج من الشافعية، وابن قتيبة، وابن مقاتل، وغيرهم كثير، بجواز العمل بالحساب الفلكي في إثبات أوائل الشهور العربية، وهذا يبين أنه ليس في المسألة إجماع بالمعنى الأصولي الذي يصبح معه الحكم قطعياً لا تصحّ مخالفته، والإجماع عند جمهور الأصوليين لا ينعقد بمخالفة الواحد، فكيف إذا خالف فيه علماء كبار ابتداءً من عصر السلف الأول إلى عصرنا الحاضر، قال الغماري " ما أسهل حكاية الإجماع عليهم، وما أخفها على ألسنتهم، وقد رأيت من كثرة القائلين بذلك ما يستحيل أن يتصور معه الإجماع، على أن ابن سريج وحده لا يمكن أن ينعقد إجماع بدونه، وقد قيل فيه أنه المحدد على رأس المائة الثالثة ... فإمام بهذه المنزلة كيف يتصور الإجماع مع خلافه، فضلا عن كثرة الموافقين له كمطرف بن عبد الله بن الشخير، وابن قتيبة، وابن مقاتل، والصادق عليه السلام، وأصحابه، وهؤلاء كلهم قبله، ثم بعده خلق لا يحصون من الشافعية، والإمامية، بل والمالكية، والحنفية² فوجود الخلاف من هؤلاء يؤكد أن الإجماع المدعى غير صحيح، وأن المسألة مما يجوز فيها الخلاف.

¹ - ابن الأمير محمد بن اسماعيل الصنعاني (1379) سبل السلام دار احياء التراث العربي الطبعة الرابعة تحقيق محمد عبد العزيز الخولي ج1ص125 ابن رشد الحفيد محمد بن احمد بداية المجتهد دار الفكر بيروت ج1 ص283، الحراني احمد عبد الحليم بن تيمية كتب وفتاوى ابن تيمية في الفقه مكتبة ابن تيمية الطبعة الثانية تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي ج25ص132، ابن الشاط قاسم بن عبد الله الأنصاري (1418) الفروق مع الهوامش، للقرافي دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الاولى تحقيق خليل المنصور ج2ص298 .
² - الغماري احمد بن محمد بن الصديق (1999 م) توجيه الأ نظار لتوحيد المسلمين في الصوم والإفطار، دار البيارق، الأردن، عمان، الطبعة الأولى ص58.

المسألة الثانية : سبب وجوب الصيام.

ما هو سبب وجوب الصيام على المسلم ؟ هل هو رؤية الهلال؟ أم أن السبب هو دخول الشهر الكريم ؟ وبناء على هذا السؤال سيتضح محور مهم في البحث، حيث إذا ثبت لدينا أن السبب الشرعي في وجوب الصيام هو دخول الشهر، فأبي وسيلة من الوسائل تكشف لنا هذا السبب فلا بأس من الأخذ بها، أما إن كانت الرؤية هي السبب في وجوب الصيام، فلا بد من تحريها والأخذ بها، وقبل دراسة هذه المسألة، لا بد لنا من بيان ما هو السبب، فالسبب " هو وصف ظاهر، منضبط، دلّ الدليل السمعي على كونه معرّفًا لحكم شرعي"³، فهو علامة على الحكم وجوداً أو عدماً، فإذا كانت بين هذه العلامة وبين الحكم مناسبة يدركها العقل، سُمّي هذا السبب علّة، مثل : السفر سبب لإباحة الإفطار، فالسفر عادة مظنةً للمشقة، فيناسبه الترخيص للصائم بالإفطار، ولذلك يقال في هذا المثال : السفر سبب أو علّة لإباحة الإفطار، أما إذا لم تكن هناك مناسبة بين السبب والحكم يدركها العقل، فهو عند ذلك يُسمّى سبباً فقط، مثل غروب الشمس سبب لصلاة المغرب، أو دخول رمضان سبب للصيام فالسبب أعم من العلة⁴ " ويرى فريق آخر من الأصوليين قصر اسم العلة على ما عرفت مناسبتة للحكم، وقصر اسم السبب على ما لم تعرف مناسبتة للحكم، فالعلة لا تسمى سبباً، والسبب لا يسمى علة"⁵

السبب الشرعي لوجوب الصيام.

بالرجوع إلى أقوال العلماء في هذه المسألة، بإمكاننا القول إنهم اختلفوا على ثلاثة أقوال، هي :- القول الأول: أنّ السبب في وجوب الصيام هو رؤية الهلال، أو إكمال العدة، والقائلون بهذا القول هم الجمهور، ويؤخذ هذا القول من تصريح البعض بذلك، أو من تأكيدهم أنّ الصيام في نظرهم لا يجب إلاّ بالرؤية، أو إكمال العدة ثلاثين يوماً، وهذا هو قول الجمهور من الأحناف، المالكية، والشافعية، الحنابلة⁶، وهو رأي شيخ الإسلام ابن تيمية⁷، وابن حجر⁸، والسبكي⁹، وغيرهم.

³ - الآمدي علي بن محمد (1404) الإحكام للآمدي دار الكتاب العربي بيروت الطبعة الاولى تحقيق د سيد الجميلي ج 1 ص 172، الشوكاني محمد بن علي (1412) إرشاد الفحول دار الفكر بيروت الطبعة الاولى تحقيق محمد سعيد البديري ابو مصعب ج 1 ص 24، الزركشي محمد بن بهادر (1421) البحر المحيط في اصول الفقه دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الاولى ضبط نصوصه وخرج احاديثه وعلق عليه د محمد محمد تامر ج 4 ص 187.

⁴ - الشيخ مولوي، فيصل، السبب الشرعي لوجوب صيام رمضان، بحث مقدم إلى المجلس الأوربي للإفتاء والبحوث، نقلا عن الموقع للمجلس الأوربي للإفتاء بتصرف، ص 10 وما بعدها.

⁵ - د. زيدان، عبد الكريم (1987) الوجيز في أصول الفقه، مؤسسة قرطبة ص 55.

⁶ - تبيينه الغافل الوسنان على أحكام هلال رمضان لابن عابدين ضمن مجموع رسائله ج 1 ص 224 المرادوي علي بن سليمان الإنصاف للمرادوي دار احياء التراث العربي بيروت تحقيق محمد حامد الفقي ج 2 ص 451 البهوتي منصور بن يونس (1996) شرح منتهى الإرادات عن المقتنع عالم الكتب بيروت الطبعة الثانية ج 1 ص 313.

⁷ - كتب وفتاوى ابن تيمية في الفقه، مرجع سابق ج 25 ص 126 - 209.

الترجيح الأصولي في حكم العمل بالحسابات الفلكية

القول الثاني: أنّ السبب الشرعي لوجوب الصيام هو وجود الهلال، وإمكان رؤيته، وليس رؤيته حقيقة¹⁰، وهذا قول القشيري¹¹، والسيد رشيد رضا¹²، وحكاه ابن سريج عن الشافعي¹³، ومن المعاصرين كذلك الشيخ يوسف القرضاوي¹⁴، والشيخ عبد الله بن سليمان المنيع¹⁵، وغيرهم.

القول الثالث: أنّ دخول رمضان هو سبب الوجوب، وهو لجمع من العلماء المعاصرين، منهم الشيخ محمد بحيت المطيعي، والشيخ طنطاوي جوهرري، والشيخ المراغي، والشيخ أحمد الغماري، والشيخ المحدث أحمد شاكر، والشيخ مصطفى الزرقا، وغيرهم، فقد أجمع الفقهاء قديماً وحديثاً على أنّ الواجب على المسلم صوم شهر رمضان كاملاً، من أوله إلى آخره، وعلى حرمة صيام يوم الفطر، وكرهه صيام يوم الشك¹⁶.

- وقد ذكر الشيخ محمد أبو زهرة في معرض بحثه عن السبب، أنّ " الشهر هو إماراة على وجوب الصوم
17، "

- وذكر كذلك الدكتور عبد الكريم زيدان، من أمثلة السبب الشرعي " دلوك الشمس لوجوب الصلاة،
وشهر رمضان لوجوب الصيام "18.

والذي يترجح للباحثين أن القول الثالث هو الراجح في سبب الصيام وذلك لأسباب :-

أولاً: قال تعالى: ﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس، وبيّنات من الهدى والفرقان. فمن شهد منكم الشهر فليصمه﴾¹⁹، وشهد في اللغة بمعنى حضر، شاهده شهوداً أي حضره، قال ابن منظور:

⁸ - الموسوعة الكويتية صادر عن وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية الكويت الأجزاء 1 - 23 الطبعة الثانية دار السلاسل الكويت والأجزاء 24 - 38 الطبعة الأولى مطابع دار الصفوة مصر الأجزاء 39 - 45 الطبعة الثانية طبع الوزارة ج 22 ص 35.

⁹ - السبكي، علي بن عبد الكافي، فتاوى السبكي، دار المعرفة لبنان ج 1 ص 207 وما بعدها، وانظر القراني، احمد بن ادريس، الذخيرة (1994) دار الغرب بيروت تحقيق محمد حجي ج 1 ص 207 وما بعدها.

¹⁰ - المقصود هنا هو أن السبب الشرعي لوجوب الصيام هو أن يكون الهلال موجوداً في السماء، ويمكن رؤيته في الأوضاع الاعتيادية، وإن لم تتحقق هذه الرؤيا حقيقةً.

¹¹ - الموسوعة الفقهية الكويتية، مرجع سابق ج 22 ص 33.

¹² - تفسير المنار ج 2 ص 185

¹³ - بداية المجتهد لابن رشد، مرجع سابق، ج 1 ص 285.

¹⁴ - د. القرضاوي، يوسف، الحساب الفلكي وإثبات أوائل الشهور.

¹⁵ - الشيخ المنيع عبد الله بن سليمان التحديد الفلكي لأوائل الشهور القمرية رجب وشعبان ورمضان وشوال وذو الحجة 1426 هـ

¹⁶ - وهو الثلاثون من شعبان.

¹⁷ - أبو زهرة محمد، أصول الفقه، ص 56.

¹⁸ - الوجيز في أصول الفقه. مرجع سابق، ص 55، وانظر كذلك الشيخ مولوي، فيصل، السبب الشرعي لوجوب صيام رمضان، مرجع سابق.

¹⁹ - سورة البقرة: 185.

الترجيح الأصولي في حكم العمل بالحسابات الفلكية

" فمن شهد منكم الشهر فليصمه " معناه من شهد منكم المصر في الشهر، لا يكون إلا ذلك، لأنّ الشهر يشهده كل حيّ فيه، قال الفراء المعنى: " فمن شهد منكم في الشهر، أي كان حاضراً غير غائب في سفره "20، قال القرطبي في تفسير هذه الآية: " فيها إضمار، أي من شهد منكم المصر في الشهر عاقلاً بالغاً صحيحاً فليصمه "21، وشهود الشهر عند اللغويين وجمهور المفسرين يعني حضوره، وإذا كان شهود الشهر يعني حضوره، فإنّ مقتضى ذلك أنّ السبب الشرعي لوجوب صيام رمضان، حسب الآية الكريمة، هو دخول الشهر22.

ومما يستدل به على هذا، أنه قد وردت في السنة مئات الأحاديث الصحيحة، في جميع كتب السنن، وهي تتحدث عن صيام شهر رمضان وفضائله، وما يتعلّق به من أحكام، ومقتضى هذه الروايات، أنّ دخول الشهر هو السبب الشرعي لوجوب الصيام، إذ إنّ المفهوم الذي تبادر إلى الأذهان عند سماع قول النبي صلى الله عليه وسلم " من صام رمضان إيماناً واحتساباً... "23 أنّ الصيام يجب على المسلم بدخول شهر رمضان، لذلك نستطيع أن نقول بجزم أنّ السنة الصحيحة تؤكّد ما ورد في القرآن من أن دخول الشهر هو سبب الصيام24.

ثانياً: لا يمكن القول بأنّ إمكانية الرؤية هي السبب الشرعي للصيام، ويمكن الرد على هذا القول، بأنّ إمكانية الرؤية اعتبرت سبباً بالاجتهاد، عند تعدّد الرؤية، وهي محاولة للتوفيق بين الأحاديث التي تعلّق الصوم على رؤية الهلال، وبين ما إذا تأكّدنا من وجود الهلال دون أن نراه25.

ثالثاً: كذلك إكمال العدة لا يمكن أن يكون سبباً، لأنّه اعتماداً للأحوط، وليس علامة لدخول الشهر، وإلا لزم منه إكمال كل شهر ثلاثين يوماً، إذا قلنا أن سبب دخول الشهر هو إكمال العدة، وقد يتبين خطأ إكمال العدة في الشهر القادم، وكذلك لأنه لا يرجع إليها إلا عند فقدان الدليل.

رابعاً: لا يمكننا أن نعتبر إكمال العدة سبباً في وجوب الصيام، لأنه لم يعرف في الأحكام الشرعية التكليفية أنّها تبني على سبب تخيري، إمّا رؤية الهلال أو إكمال العدة، " فالسبب الشرعي يكون دائماً

20- ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت الطبعة الأولى، ج3 ص241.

21- تفسير القرطبي للآية 185 سورة البقرة.

22- الشيخ مولوي، فيصل، السبب الشرعي لوجوب صيام رمضان، بحث مقدم إلى المجلس الأوربي للإفتاء والبحوث، نقلاً عن الموقع للمجلس الأوربي للإفتاء بتصرف.

23- البخاري محمد بن اسماعيل (1407) صحيح البخاري دار ابن كثير اليمامة بيروت الطبعة الثالثة تحقيق د مصطفى ديب البغا ج1 ص22 رقم 38، و مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، برقم 279، ج1، ص234، بيروت، إحياء التراث العربي، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ج1 ص523 رقم 760.

24- السبب الشرعي لوجوب صيام رمضان، مرجع سابق ص9.

25- السبب الشرعي لوجوب صيام رمضان، مرجع سابق ص9.

الترجيح الأصولي في حكم العمل بالحسابات الفلكية

واحدًا، ولا يكون تخييراً بين أمرين، مثل: دخول الوقت سبب لوجوب الصلاة، وملك النصاب سبب لوجوب الزكاة، والسفر سبب لإباحة الفطر وقصر الصلاة، والزنا سبب لوجوب الحدّ، والاضطرار سبب لإباحة الميتة، والجنون سبب لوجوب الحجر، والقتل²⁶ سبب لوجوب القصاص، والموت سبب لاستحقاق الإرث، والنكاح سبب لحلّ المعاشرة الزوجية، والطلاق سبب لإزالة هذا الحل، وهكذا... بناءً على ذلك لا يصحّ من الناحية الأصولية، أن نقول: إنّ رؤية هلال رمضان هي سبب وجوب صيامه، فإن لم ير الهلال فإنّ إكمال العدة هو السبب، فمثل هذا التخيير ليس له مثل في الأسباب²⁷، وإذا تبين أن إمكانية الرؤية ليست سبباً للصيام، وكذلك إكمال العدة، فلم يبق إلا الرؤية أو دخول الشهر.

رابعا: كذلك تسقط الرؤية من كونها سبباً لوجوب الصوم، وذلك لما قدمنا، من أن السبب هو ما لم يكن بينه وبين الحكم مناسبة يدركها العقل، والعلة ما كان بينها وبين الحكم مناسبة، وأن بعض الأصوليين يطلق السبب على السبب والعلة، والبعض يحصر السبب على ما لم يكن بينه وبين الحكم مناسبة يدركها العقل، فعلى القول الأول، وهو أن السبب ينحصر فيما لا يوجد بينه وبين الحكم مناسبة، فإنّ الرؤية ليست سبباً شرعياً للصيام، لأنها معلّلة بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنّا أمة أميّة لا نكتب ولا نحسب، الشهر هكذا وهكذا"²⁸، وعلى القول الثاني أن السبب يمكن أن يكون علة، فهذا سيضطرنا للقول بإمكان تغيير السبب، لأنّ الحكم كما هو معروف "يدور مع علته وجوداً وعدماً"²⁹، والصحيح أن السبب لا يتغير، يقول الشاطبي: "ما أثبت سبباً، فهو سبب أبداً لا يرتفع"³⁰ وهو هنا دخول رمضان لإيجاب الصوم فيه، أمّا الوسيلة المستعملة للتحقق من وجود السبب فقد تكون قابلة للتغيير، وهي وسيلة تبقى مطلوبة بمقدار تحقيقها للهدف كما سيأتي قريباً.

خامساً: لا يمكننا اعتبار الرؤية سبباً لوجوب الصوم، لأنّ الأصوليين يعرفون السبب بأنّه: "وصف ظاهر منضبط... والرؤية خلاف ذلك، فالرؤية ليست وصفاً، ولا ظاهراً، ولا منضبطاً، فهي ليست وصفاً يتعلّق بالهلال وولادته- وهو المعوّل عليه في دخول الشهر - إنما هي وصف يتعلّق بالإنسان الذي يرى، وهو لا علاقة له بسببية الصيام، لأنّ سبب الصيام خارج عنه، والرؤية ليست وصفاً ظاهراً، ففي أكثر الأحيان وبالنسبة لأكثر الناس، وفي أكثر الأماكن، فإنّ الرؤية لا تتحقّق، وهذا يدلّ على أنّها وصف غير ظاهر في

²⁶ - العمدة العدوان.

²⁷ - السبب الشرعي لوجوب صيام رمضان، مرجع سابق.

²⁸ - صحيح البخاري ج2 ص675 برقم 1814، ومسلم ج2 ص761 برقم 1080.

²⁹ - السلمي العز بن عبد السلام، عبد العزيز بن عبد السلام قواعد الأحكام العز دار المعارف بيروت - لبنان تحقيق محمود بن التلاميذ الشنيطي ج1 ص3-2/5)، الزرقا احمد بن محمد (1409) شرح القواعد الفقهية دار القلم دمشق الطبعة الثانية صححه وعلق عليه مصطفى احمد الزرقا ج1 ص483.

³⁰ - أبو إسحاق، الشاطبي الموافقات، دار المعرفة، بيروت، لبنان، تحقيق عبدالله دراز ج54 ص1.

الترجيح الأصولي في حكم العمل بالحسابات الفلكية

أكثر الحالات، والرؤية ليست وصفاً منضبطاً، لأنها تتأثر بالأشخاص، وبالأماكن، وبالجو، وبغير ذلك من الأسباب العلمية المعروفة، لذلك فإنّ الرؤية لا تصلح لأن تكون سبباً شرعياً للصيام وفق تعريف الأصوليين.

سادساً : أن الشارع حدد عند عدم الرؤية طريقة أخرى، وهي إكمال العدة ثلاثين، ونستفيد من هذا التحديد، أن المعنى هو التأكد من إكمال الشهر السابق، وبداية الشهر الجديد، وهذا يؤكد أن السبب الشرعي في وجوب الصيام هو دخول الشهر وليس الرؤية البصرية، وعليه فالراجح بناء على كل ما سبق أن السبب الشرعي لوجوب الصيام هو دخول الشهر، وليست الرؤية، أو إمكانية الرؤية، ولا كذلك إتمام العدة ثلاثين يوماً، والله تعالى أعلم.

المسألة الثالثة: علة العمل بالرؤية.

بعد التأكد من أن الرؤية ليست سببا في وجوب الصيام على المسلمين، فهل الرؤية وتعليق الحكم الشرعي بها معلل بعلّة؟ لأن الحكم كما يقول علماء الأصول يدور مع العلة وجودا وعدما، الجواب على هذا السؤال، هو أن الرؤية هنا جاءت معللة ومنصوصاً على عليتها في الحديث، قال صلى الله عليه وسلم "إنا أمة أمية، لا نكتب ولا نحسب، الشهر هكذا وهكذا، يعني مرة تسعة وعشرون ومرة ثلاثون"³¹، ومن الواضح أنه لم يقصد حساب الأرقام، فقد أُرشدنا في نهاية الحديث إلى عدّ الأيام وحسابها تسعة وعشرين أو ثلاثين، إنّما المقصود بالحساب هنا حساب منازل القمر، وقد كان معروفاً عند العرب بشكل بدائي، وعند القلّة من الناس، ولم يكن هذا العلم قد بلغ درجة اليقين، كما هو عليه اليوم، وقد بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على عدم معرفة العرب بالحساب الأخذ بما هو يقيني، وهو أنّ الشهر يكون تسعة وعشرين أو ثلاثين، وهذه مسألة أقرها النص المعصوم، ويؤكدّها علم الفلك، أمّا كيف يُعرف أنّ الشهر تسعة وعشرين أو ثلاثون فهو غير ممكن في ذلك العصر إلّا بالرؤية، أو بإكمال العدّة، ولذلك ورد الأمر بالأحاديث الأخرى بالتزام الرؤية، لأنّها الوسيلة الوحيدة المقدورة للناس، حيث قال صلى الله عليه وسلم "صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته..."³²، وقال أيضا: "لا تصوموا حتّى تروا الهلال، ولا تفطروا حتّى تروه.."³³، وإذا كانت علة العمل بالرؤية هي أن الأمة في ذلك العصر أمية لا تحسب ولا تكتب، فمن المقرر عند الأصوليين أن الحكم يدور مع العلة وجودا وعدما، والأمية صفة قد انتفت من المسلمين بالعلم، ودوران العلة مع الحكم يقتضي أن العلة الآن منتفية، ويجوز العمل بالحساب، يقول الشيخ أحمد شاکر: "فإذا خرجت الأمة عن أميتها وصارت تكتب، وتحسب، أعني صارت في مجموعها ممن يعرف هذه العلوم، وأمكن الناس عامتهم وخاصتهم أن يصلوا إلى اليقين، والقطع في الحساب أول الشهر، وأمكن أن يثقوا بهذا الحساب ثقتهم بالرؤية، أو أقوى، إذا صار هذا شأنهم في جماعتهم، وزالت علة الأمية، وجب أن يرجعوا إلى اليقين الثابت، وأن يأخذوا في إثبات الأهلة بالحساب وحده، وأن لا يرجعوا إلى الرؤية إلا حين يستعصي عليهم العلم به، كما إذا كان ناس في بادية، أو قرية لا تصل إليهم الأخبار الصحيحة الثابتة عن أهل الحساب"³⁴، فالعمل بالرؤية معلول بعلّة عدم العلم، أو بالأمية، وقد زالت هذه العلة في عصرنا الحاضر، فيكون الرجوع إلى الحساب اليقيني لزوال العلة التي كانت تمنع منه .

³¹ - البخاري ج2 ص675 برقم 1814، مسلم ج2 ص761 برقم 1080.

³² - صحيح البخاري ج2 ص674 برقم 1810.

³³ - انظر السبب الشرعي لوجوب صيام رمضان، مرجع سابق، وكذا البرغوثي، عماد احمد، وابوسمرة محمود احمد، وعفانة، حسام الدين موسى، والنعيمي، حميد مجول الأهلة بين الفلك والفقّه نقلا عن مجلة الجامعة الإسلامية - سلسلة الدراسات الشرعية - المجلد الثاني عشر - العدد الثاني ص 223 - 246 يونيو 2004.

³⁴ - شاکر، احمد محمد، أوائل الشهور العربية هل يجوز شرعا إثباتها بالحساب الفلكي للعلامة ص12-14.

المسألة الرابعة: الرؤية وسيلة وليست غاية.

أثبتنا فيما مر أن الرؤية ليست علة، ولا سببا لوجوب الصيام، ومعلولة بعلّة الأمية، فما التشخيص العلمي للرؤية؟ فهل هي وسيلة لمعرفة السبب وهو دخول الشهر؟ حيث إذا أمعنا النظر في الأحاديث الواردة فيها ذكر الرؤية، نعلم أن الرؤية عبارة عن تحصيل العلم بوجود الهلال المرئي، دون أن يكون للرؤية البصرية أية خصوصية، أي أنها وسيلة وليست غاية، فلذا لو حصل الإنسان العلم بأية طريقة للزم عليها العمل طبق هذا العلم، يقول الشيخ الغماري: "إن الحكم في الصوم ليس معلقا بالرؤية لذاتها، بل هو معلق بظهور الهلال، ووجوده، والرؤية إنما علق الشارع بها الحكم لأنها طريق إلى معرفته، والتحقق من وجوده، يستوي فيه العام والخاص، والعالم والجاهل، ولولا ذلك لما كان لها ذكر، ولما دخلت في الحكم أصلا، لأن الحكم إنما هو معلق بالهلال ووجوده في السماء"³⁵، ومما يدلنا كذلك على أنها وسيلة ما نص عليه الفقهاء، من أنه "لو أخبر معصوم بوجود الهلال في السماء وجب الصوم وإن لم يره أحد"³⁶، فالرؤية هنا هي وسيلة لمعرفة دخول الشهر، فقد شرعها لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعرفة بداية الشهر ونهايته، يقول الدكتور القرضاوي، تحت عنوان الرؤية وسيلة متغيرة لهدف ثابت "ما جاء في الحديث الصحيح المشهور "صوموا لرؤيته . أي الهلال . وأفطروا لرؤيته، فإن غم عليكم فاقدروا له " وفي لفظ آخر " فإن غم عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين"، فهنا يمكن للفقهاء أن يقولوا: إن الحديث الشريف أشار إلى هدف، وعين وسيلة، أما الهدف من الحديث فهو واضح بَيّن، وهو أن يصوموا رمضان كله، ولا يضيعوا يوماً منه، أو يصوموا يوماً من شهر غيره، كشعبان أو شوال، وذلك بإثبات دخول الشهر أو الخروج منه، بوسيلة ممكنة مقدورة لجمهور الناس، لا تكلفهم عنتاً، ولا حرجاً في دينهم"³⁷، وسبب تعيين هذه الوسيلة في ذلك العصر هي أن الرؤية بالعين هي الوسيلة السهلة والمقدورة لعامة الناس في ذلك العصر، ولهذا جاء الحديث بتعيينها، وبناء على هذا الحكم، فإن الرؤية تأخذ حكم الوسائل، والوسائل تتبع في حكمها المقاصد والأهداف، فهي معللة من حيث الأصل بإمكان تحقيق المقصد أو الهدف منها، فإذا تخلفت الوسيلة عن تحقيق الهدف منها لا تعود مطلوبة شرعاً، وإذا وجدت وسيلة أخرى مشروعة أفضل منها في تحقيق الهدف أصبحت هي المطلوبة شرعاً، لأنّ تحقيق المقاصد والأهداف الشرعية هو المطلوب، يقول الدكتور القرضاوي "إذا وجدت وسيلة أخرى أقدر على تحقيق هدف الحديث، وأبعد عن احتمال الخطأ والوهم والكذب في دخول الشهر، وأصبحت هذه الوسيلة ميسورة غير معسورة، ولم تعد وسيلة صعبة المنال، ولا فوق طاقة الأمة، فلماذا الجمود على الوسيلة وهي ليست مقصودة لذاتها - ونغفل الهدف الذي نشده الحديث؟! "³⁸، فصيام

35 - توجيه الأنظار لتوحيد المسلمين في الصوم والإفطار، مرجع سابق، ص ١٠١-١٠٢-١٠٣.

36 - المرجع السابق، ص ١٠١-١٠٢-١٠٣.

37 - الحساب الفلكي وإثبات أوائل الشهور، مرجع سابق.

38 - المرجع السابق .

الترجيح الأصولي في حكم العمل بالحسابات الفلكية

مقارن بين علم الفلك والرؤية ونسبة الخطأ فيها في الأردن، أظهرت النتائج الفارق الكبير بينهما، وكانت نتائج البحث كالاتي :- أولاً بالنسبة لشهر رمضان المبارك، كان هناك 47 رمضان، كانت إمكانية الرؤية مستحيلة في 28 شهراً، أي ما يعادل 60 %، وكانت إمكانية الرؤية غير ممكنة في 17 شهراً، أي 36% ، ولم يتبق للرؤية الممكنة سوى حالتين 4%، إحداهما كانت ممكنة بالمربق، والأخرى بالعين المجردة - علماً بأن الرؤية كانتا ممكنتين يوم 30 شعبان وليس 29 - ثانياً بالنسبة لشهر شوال، فمن بين الـ 47 شهراً كانت إمكانية الرؤية مستحيلة في 32 شهراً، أي 68%، وغير ممكنة في 4 أشهر 30%، أما الرؤية الممكنة فكانت مرة واحدة فقط، عن طريق المربق 2%، وكانت أيضاً يوم 30 رمضان وليس 29، ثالثاً بالنسبة لشهر ذي الحجة، شهر الحج، والذي معظم العالم الإسلامي يتبع السعودية فيه، فقد كان عدد أشهر ذي الحجة 48 شهراً، وكانت إمكانية الرؤية مستحيلة في 17 شهراً 35%، وغير ممكنة في 21 شهراً 44%، أما الممكنة فكانت في 10 أشهر 21%، ستم منها بالمربق، وأربع بالعين المجردة، والنتيجة الإجمالية لهذه الدراسة، أن مجموع الأشهر 142 شهراً، كانت إمكانية الرؤية مستحيلة في 77 شهراً 54%، وغير ممكنة في 52 شهراً 37%، أما الممكنة في 13 شهراً 9%، ثمانية منها بالمربق، وخمسة بالعين المجردة⁴¹ فالرؤية لا تؤدي إلى المقصد والهدف الشرعي من استخدامها، وهناك وسيلة تؤدي إلى المقصد والهدف بيسر وسهولة، فالواجب اتباعها وهي الحساب الفلكي، ومن قواعد الوسائل أن " مراعاة المقاصد مقدمة على رعاية الوسائل أبداً"⁴²، وهذا فيه رد على المتمسكين بالرؤية مع الإقرار أنها دون الحساب الفلكي، فالمرعاة الشرعية تكون للمقاصد دون رعاية الوسائل، والمقصد من الرؤية الشرعية هو إثبات دخول الشهر، ومرعاة هذا المقصد يوجب علينا تغيير الوسيلة إلى العمل بالحسابات الفلكية، فالرؤية ليست شرطاً من الشروط بل وسيلة من الوسائل، قال القشيري: " إذا دلَّ الحساب على أن الهلال قد طلع من الأفق على وجه يرى لولا وجود المانع كالغيوم مثلاً، فهذا يقتضي الوجوب لوجود السبب

41 - انظر المهندس عودة، محمد شوكت تقويم نسب الخطأ في تحديد أوائل الأشهر الهجرية في الأردن، مقالات المشروع الإسلامي لرصد الأهلة، وهناك بحث لنفس القضية ولكن على بلد آخر هو الجزائر وقد دل البحث في انه ما بين الفترة 1963م إلى 1994م كان هناك عدد كبير من التعارض كذلك " انظر قسوم ومزيان - العنوان كامل من المصدر - بواسطة تقويم نسب الخطأ في تحديد أوائل الأشهر الهجرية في الأردن - المهندس محمد شوكت عودة - مقالات المشروع الإسلامي لرصد الأهلة وهناك بحث ثالث لنفس الموضوع ولكن على السعودية " أعدّها الفلكي، الباحث الفلكي عدنان قاضي وهو فلكي سعودي وقام بتقييم نسب الخطأ، في رمضان فقط. نجد أنه من أصل 46 حالة هناك 29 حالة أعلنت السعودية ثبوت رؤية الهلال ولم يكن القمر أصلاً موجود في السماء، يعني نحن نتحدث عن 63 بالمائة حالات مستحيلة، لم يكن القمر موجود، و 11 حالة من أصل 46، يعني ما يمثل 24 بالمائة كان القمر موجود ولكنه لا يُرى حتى باستخدام التليسكوبات، ولم يتبق إلا ست حالات فقط كان بالفعل يمكن رؤية الهلال في ذلك الوقت. " من مقابلة مع محمد شوكت في قناة الجزيرة في برنامج بلا حدود، الثلاثاء 1428/12/29 هـ - الموافق 2008/1/8 م.

42 - محمدم، مصطفى بن كرامة الله، قواعد الوسائل في الشريعة الإسلامية، دار اشبيليا للنشر والتوزيع، الطبعة الاولى، 1420 هـ ص 283.

الترجيح الأصولي في حكم العمل بالحسابات الفلكية

الشرعي، وأن حقيقة الرؤية ليست مشروطة في الزوم، فقد اتفقوا على أن المحبوس في المظمورة إذا علم بإتمام العدة، أو بطريق الاجتهاد أن اليوم من رمضان وجب عليه الصوم⁴³

⁴³ - انظر العيني محمود بن احمد عمدة القاري دار احياء التراث العربي بيروت ج10 ص 272، وانظر الاهلة بين الفلك والفقهاء، مرجع سابق.

الترجيح الأصولي في حكم العمل بالحسابات الفلكية

المسألة الخامسة: التعيين على الوسيلة من الشارع لا يقتضي عدم تغييرها.

ثبت مما تقدم أن الرؤية للهلال وسيلة من وسائل الكشف عن السبب، وهو دخول الشهر، ولكن الشارع الكريم نص على هذه الوسيلة، فهل هذا النص فيه دلالة على عدم مجاوزته والوقوف عنده؟ إذا أثبتنا أن الرؤية وسيلة من الوسائل فلا شك أن من أحكام الوسائل كما تقدم جواز العمل بغيرها إن كان سيصل بنا إلى المقصد الشرعي بطريقة يقينية، أفضل من الوسائل الأخرى، والتنصيص على وسيلة من الوسائل لا تأثير فيه على هذه القواعد، إلا إذا كان المقصد الشرعي لا يمكن أن يتحقق إلا بهذه الوسيلة، وهذه هي الوسائل المنصوص عليها من الشارع الحكيم، والتي لا يجوز تغييرها وتبديلها، أما في هذه المسألة فواضح أن وسيلة الحساب الفلكي توصلنا إلى المقصد بطريق أولى، وكذلك لأن من القواعد المعتمدة في الوسائل " أن حصول المقصود بإحدى الوسائل مسقط لاعتبار التعيين فيها"، وذلك لأن المراد هو تحصيل المقصود وتحقيق مصلحته، وكل الوسائل تشترك في هذا المعنى، وتؤدي إليه، قال القرافي: " إذا تيسر المقصود بدون وسيلة معينة سقط اعتبارها"⁴⁴، والأصل في هذه القاعدة، ما رواه رافع بن خديج رضي الله عنه قال لرسول الله: يا رسول الله إنا لاقوا العدو غداً، وليس معنا مدى أفنديج بالقصب؟ فقال: ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه فكلوه، ليس السن والظفر"⁴⁵ فالصحابي سأل عن حكم وسيلة معينة، وهي الذبح بالقصب، فأخبره النبي صلى الله عليه وسلم بأن كل وسيلة يحصل بها المقصود، وهو إنهار الدم، يصح الذبح به إلا ما وجد فيه مانع شرعي⁴⁶ وفي هذا دلالة على أن الوسائل سواء كان منصوصاً عليها أو غير منصوص عليها ما دام أنها تؤدي الغرض منها فلا بأس من استبدالها.

قياس الأولى في الوسائل.

قد تقدم أن من أحكام الوسائل أنه إذا وجدت وسيلتين مشروعيتين فالخيار يكون للأفضل منهما في تحقيق الهدف، وهذا على اعتبار أن الأقوى في الوسائل هو من قياس الأولى، حيث قد تتعدد الوسائل الموصلة إلى المقصد الواحد، قال ابن عاشور: " وقد تتعدد الوسائل إلى المقصد الواحد، فتعتبر الشريعة في التكليف بتحصيلها أقوى تلك الوسائل تحصيلاً للمقصد المتوسل إليه بحيث يحصل كاملاً، راسخاً، عاجلاً، ميسوراً، فتقدمها على وسيلة هي دونها في هذا التحصيل، وهذا مجال متسع، ظهر فيه مصداق نظر الشريعة إلى المصالح، وعصمتها من الخطأ والتفريط... فإذا قدرنا وسائل متساوية في الإفضاء إلى المقصد، باعتبار أحواله كلها سوت الشريعة في اعتبارها، وتخير المكلف في تحصيل بعضها دون الآخر، إذ الوسائل ليست

44 - القرافي، احمد بن ادريس، الذخيرة (1994) دار الغرب بيروت تحقيق محمد حجي ج3 ص177

45 - صحيح البخاري ج2 ص881 برقم 2356

46 - قواعد الوسائل في الشريعة الإسلامية، مرجع سابق، ص275، 276

الترجيح الأصولي في حكم العمل بالحسابات الفلكية

مقصودة لذاتها" ⁴⁷. فهنا نأخذ بالأقوى من باب قياس الأولى بين الوسائل، قال الدكتور القرضاوي " إن الأخذ بالحساب القطعي اليوم وسيلة لإثبات الشهور: يجب أن يقبل من باب قياس الأولى، بمعنى أن السنة التي شرعت لنا الأخذ بوسيلة أدنى، لما يحيط بها من الشك والاحتمال -وهي الرؤية- لا ترفض وسيلة أعلى وأكمل وأوفى بتحقيق المقصود، والخروج بالأمة من الاختلاف الشديد في تحديد بداية صيامها وفطرها وأضحائها، إلى الوحدة المنشودة في شعائرها وعباداتها، المتصلة بأخص أمور دينها" ⁴⁸

النهى عند الأصوليين

أو بمعنى آخر هل نهى الشارع عن العمل بالحسابات الفلكية؟ لأنه قد يحتج بأن الوسائل تنقسم إلى وسائل منصوب عليها، وهي ما نص عليها الشارع، ووسائل ملغاة، وهي ما نهى عنها الشارع، ووسائل مسكوت عنها، فالرؤية هي من الوسائل المنصوبة، التي نص عليها الشارع في عدة أحاديث صحيحة، وأما الحساب الفلكي فقد نهى عنه الشارع، فقال " نحن أمة أمية لا نحسب ..."، فهذا الاعتراض له شقان : الأول أن الرؤية وسيلة منصوب عليها، لا يجوز تبديلها لأي سبب من الأسباب، والشق الثاني أن الحساب الفلكي وسيلة ملغاة، منهي عنها من الشارع، فلا يجوز الاعتماد عليه.

فالرد أن الوسائل المنصوب عليها، هي الوسائل التي لا يمكن التوصل إلى المقصود إلا بها، لما لها من قوة إفضاء إلى المقصود، ولما لها كذلك من مصلحة في نفسها، وهذا غير موجود في الرؤية، فالرؤية وسيلة لإثبات الهلال ولكن الشارع قد اعتبر غيرها، وهو إكمال العدة في حال عدم الرؤية فيقوم مقام الرؤية، كما أن الرؤية ليس لها تلك القوة في الإفضاء إلى المقصد الشرعي، وليس لها أي مصلحة في ذاتها، ولما مر كذلك من أن الرؤية وسيلة معللة بعلّة، وهي عدم الحساب في هذه الأمة، وهذه العلة اليوم منتفية، فالعمل بغير هذه الوسيلة جائز على أقل أحواله، إن لم يصل بهذا الاعتبار إلى حد الوجوب.

أما الشق الثاني من هذا الاعتراض، وهو أن الحساب الفلكي وسيلة ملغاة، فالوسائل الملغاة هي ما لا يمكن التوصل بها إلى المقاصد، لما تتضمنه من مفسد أو لإفضائها إلى المفسد، وهي المنهي عنها بالنص الشرعي، أو أن تكون مخالفة لمقاصد الشرع وكلياته العامة، أو أن المفسد المترتبة على اتخاذها طريقاً إلى المقاصد كثيرة وتربو على المقاصد المرجوة من المقصد ذاته، فهنا يحكم بإلغائها وعدم اعتبارها، ونلاحظ أن الحساب الفلكي لا يمكن أن يكون هكذا، وذلك لأن الحساب الفلكي لم ينه الشارع عنه، ولكن النص الشرعي جاء معلولاً بالعلّة الشرعية وهو الأمية فإذا انتفت دار الحكم مع علته، يضاف إلى ذلك أنّ النهي عند الأصوليين، إما أن يكون بصيغة صريحة من الصيغ المعروفة، أو أن يترتب على فعل معين عقوبة، أو وعيد، أو لعنة، أو وصفت هذا الفعل بأنّه من الذنوب، أو أنّه عدوان، أو ظلم، أو إساءة، أو فسق، أو

47 - ابن عاشور، محمد الطاهر مقاصد الشريعة الإسلامية، دار النفائس للنشر، 2001م، الأردن، الطبعة الثانية ص 419 .

48 - الحساب الفلكي وإثبات أوائل الشهور، مرجع سابق .

الترجيح الأصولي في حكم العمل بالحسابات الفلكية

شبهت الفاعل بالبهائم، أو الشياطين، أو الكفرة، أو الخاسرين⁴⁹، أي لا بدّ من قرينة تصرف الوصف إلى النهي، وليست هذه القرينة موجودة لا في نفس النص ولا في غيره من النصوص في الحساب الفلكي، فمن أين جاء هذا النهي الشرعي عن الحساب الفلكي⁵⁰.

الأمر بالرؤية ليس تعبدياً.

ومن المسائل التي يجب أن تعلم، أن الرؤية التي أمر الشارع بها ليست في ذاتها عبادة، بل هي كما قدمنا وسيلة من الوسائل التي توصل إلى الهدف المطلوب، ومما يدلنا على أنها ليست بعبادة، أنها لو كانت عبادة في ذاتها لا يجوز أن يتجاوزها المكلف، فلما علق الشارع الحكم الشرعي الذي هو ثبوت الشهر بغيرها وذلك إذا لم يتمكن من الرؤية، فالرجوع إلى إكمال الشهر ثلاثين يوماً أو في حال الغيم على القول الثاني الرجوع إلى التقدير دليل على هذا، قال الشيخ مصطفى الزرقا " وواضح من هذا أن الأمر باعتماد رؤية الهلال ليس لأن رؤيته هي في ذاتها عبادة، أو أن فيها معنى التعبد، بل لأنها هي الوسيلة الممكنة الميسورة إذ ذاك، لمعرفة بدء الشهر القمري ونهايته"⁵¹، فالرؤية المقصود بها العلم بالمواقيت لا التعبد بها، كغروب الشمس المقصود به التعرف على ميقات العبادة لا التعبد برؤيته، قال الشيخ محمد رشيد رضا " غرض الشارع من ذلك العلم بهذه الأوقات، لا التعبد برؤية الهلال، ولا بتبيين الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر، ولا التعبد برؤية ظل الزوال وقت الظهر...، فغرض الشارع في مواقيت العبادة معرفتها"⁵²، فالرؤية غير متعبد بها في ذاتها، بل هي وسيلة من الوسائل التي متى ما جاءت وسيلة خير منها في الوصول إلى المقصود كان العمل بها دون الرؤية.

⁴⁹ - الحديع عبد الله تيسير علم أصول الفقه، مؤسسة الريان - بيروت، ص38-39

⁵⁰ - انظر السبب الشرعي لوجوب صيام رمضان، مرجع سابق، وكذا الأهلة بين الفلك والفقه، مرجع سابق .

⁵¹ - الشيخ الزرقا، مصطفى، لماذا الاختلاف حول الحساب الفلكي؟

⁵² - تفسير المنار ج2 ص185

المسألة السادسة: قوة الدلالة بين الحسابات الفلكية والرؤية البصرية.

من القواعد المنصوص عليها في الشرع هو أن العمل باليقين مقدم عند التعارض مع ما سواه من الظن أو الشك أو غيره؟ فهل العمل بالرؤية هو عمل باليقين؟ أم أن العمل بالحسابات الفلكية في إثبات الشهور هو العمل باليقين؟ إن مما لا شك فيه اليوم أن الحسابات الفلكية أصبحت من الأمور القطعية، فأصبحت الحسابات تحدد الكسوف والخسوف ليس بالساعة والدقيقة بل وبالثانية، وكذلك تحدد الاحتجابات الفلكية للقمر، وهو اختفاء أحد الأجرام السماوية خلف القمر كذلك بالدقيقة بل بالثانية، وأصبحت نسبة الخطأ في الحسابات الفلكية تكاد تكون معدومة، وهذا بإجماع علماء الفلك، فلم يعد يخالف في هذا أحد، لاسيما بعد اختبار النتائج القطعية للحسابات، سواء كان علماء الفلك المسلمين أو غير المسلمين⁵³، يقول الدكتور القرضاوي " وغدت نسبة احتمال الخطأ في تقديراته (1: 100000) في الثانية، وأصبح من أسهل الأمور عليه أن يخبرنا عن ميلاد الهلال فلكيًا، وعن إمكان ظهوره في كل أفق بالدقيقة والثانية، لو أردنا "54، فالحسابات الفلكية " ليست مبنية على تخمينات، وإنما بنيت على أرصاد سابقة، توارثتها الأمم منذ الأزل إلى أن وصلت إلينا في وقتنا الحاضر، حيث تم تحويل ذلك الموروث العلمي الضخم إلى معادلات تحاكي الحركة الطبيعية للأجرام، ولم يكن هذا ليتم لولا مقدرة العقل البشري الذي أودعه الله . سبحانه وتعالى . وميز به الإنسان عن باقي المخلوقات "55، وفي عام 1426هـ وقعت ردود بين علماء الفقه في الوطن العربي، وبدأ بعضهم يشكك في قطعية هذا الحساب، على الرغم مما أجمع عليه أهل الخبرة في هذا الفن، فكان التحدي هو بإيجاد عالم فلكي معتبر بعلمه يخالف في هذه المسألة، وإذا كان المنازع لا يزال في منازعته في أن ولادة الهلال ظنية لا قطعية، فعليه أن يأتي بقول واحد من علماء الفلك يقول بظنية الولادة لا قطعيتها، فما وجد من يتصدى لهذا التحدي⁵⁶ فهذه النتائج القطعية، وهذا العلم الذي وصل من التقنية ما أمكنه حساب الدقائق والثواني، لا يمكن أن نتجاهله ونرجع إلى العمل

53 - وانظر التحديد الفلكي لأوائل الشهور القمرية رجب وشعبان ورمضان وشوال وذو الحجة 1426هـ، مرجع سابق، عماد مجاهد دليل المسلم الفلكي ص 76 - 213 نقلًا من ثبوت الشهر القمري بين الحديث النبوي والعلم الحديث ص 16، وانظر مقالة بعنوان اهله الشهور الحجرية ص 6، 5، د. د. حميد مجول النعيمي استاذ الفيزياء الفلكية رئيس قسم الفيزياء في جامعة الامارات العربية المتحدة رئيس الاتحاد العربي لعلوم الفضاء والفلك، وانظر الحسابات الفلكية د. عبد الرحمن حمزة مغربي أستاذ بحث مساعد قسم الفلك مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية، الدورة الفلكية الشرعية الأولى، التحديد الفلكي لأوائل الشهور القمرية رجب وشعبان ورمضان وشوال وذو الحجة 1426هـ، مرجع سابق.

54 - الحساب الفلكي وإثبات أوائل الشهور، مرجع سابق.

55 - مدخل لدراسة علم الفلك ص 5

56 - انظر التحديد الفلكي لأوائل الشهور القمرية رجب وشعبان ورمضان وشوال وذو الحجة 1426هـ، مرجع سابق

الترجيح الأصولي في حكم العمل بالحسابات الفلكية

بالرؤية التي أثبت العلم الحديث الأخطاء الكبيرة من العمل بها، فإنكارنا النتائج العلمية القطعية مما هو محل إجماع علماء الاختصاص، يرجع علينا بالنقص والزراية وضيق الأفق والنظر وسوء السمعة.

• الراجح

بعد هذا العرض السريع والموجز للمسائل الأصولية، يتضح أن الراجح من الناحية الأصولية أن الرؤية ليست علة، ولا سببا، ولا شرطا في ثبوت دخول الشهر القمري، الذي تترتب عليه الأحكام الشرعية، ولكنها وسيلة من الوسائل التي كانت مناسبة لعصر النبي صلى الله عليه وسلم وما بعده، ولكن اليوم مع التقدم العلمي الكبير الذي حظيت به هذه العصور، أصبحت الوسيلة المناسبة لإثبات دخول الشهر هو الحساب الفلكي، الذي أصبح التعامل اليوم على أساسه في مجالات شتى، وأصبحت نسبة الخطأ فيه شبه معدومة، هذا بالإضافة إلى أن عموميات النصوص تدلنا على أن القمر والشمس قد وضعنا بميزان دقيق من أجل معرفة الحساب، قال تعالى ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾⁵⁷ ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ...﴾⁵⁸ ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ...﴾⁵⁹ ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلَنَاهُ تَفْصِيلًا...﴾⁶⁰

والحسبان: صيغة مبالغة، كجوعان وشبعان، وهي تعني هنا الحساب الدقيق، والآيتان الأخيرتان تشيران إلى أن الله تعالى قدر أن يتحرك القمر في منازل ليدفعنا إلى تعلم حساب هذه المنازل، وجعل الليل والنهار آيتين تختص كل منهما بمزايا في خدمة الإنسان، حتى يتعلم منهما حساب الليل والنهار، وعد الأشهر والسنين، وهذا يؤكد أهمية علوم الفلك وحساب حركة النجوم، لتحقيق أكبر قدر من الاستفادة منها طالما أن الله تعالى سخرها لنا، ولعل من الفوائد التي يمكن أن ننجيها من الاعتماد على الحساب في إثبات الشهر القمري:-

4. إنهاء الخلاف المستمر والمتكرر بين المسلمين في بداية الأشهر القمرية، وبخاصة أشهر رمضان وشوال وذو الحجة .

5. أنه سيمكننا من عمل تقويم هجري دقيق للمستقبل، لا سيما في البلدان التي فيها أقليات مسلمة وتحتاج الدولة فيها التقويم من بداية العام لأجل تحديد أيام العطل الخاصة بالمسلمين .

6. أنه سيحل مشكلة اختلاف المطالع فإن هذه المشكلة لم تحل قديما .

7. أنه سيساهم في إزالة الفجوة المصطنعة بين الإسلام والعلوم الطبيعية.

⁵⁷ - سورة الأنعام:96.

⁵⁸ - سورة الرحمن:5.

⁵⁹ - سورة يونس:5.

⁶⁰ - سورة الإسراء:12.

الترجيح الأصولي في حكم العمل بالحسابات الفلكية

قائمة المراجع والمصادر

1. ابن الأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني (1379) سبل السلام دار إحياء التراث العربي الطبعة الرابعة تحقيق محمد عبد العزيز الخولي.
2. ابن الشاط قاسم بن عبد الله الأنصاري (1418) الفروق مع الهوامش، دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى تحقيق خليل المنصور.
3. ابن رشد الحفيد محمد بن أحمد بداية المجتهد دار الفكر بيروت.
4. ابن عاشور، محمد الطاهر مقاصد الشريعة الإسلامية، دار النفائس للنشر، 2001م، الأردن، الطبعة الثانية.
5. ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت الطبعة الأولى.
6. أبو إسحاق، الشاطبي الموافقات، دار المعرفة، بيروت، لبنان، تحقيق عبدالله دراز.
7. أبو زهرة محمد، أصول الفقه.
8. الآمدي علي بن محمد (1404) الإحكام للآمدي دار الكتاب العربي بيروت الطبعة الأولى تحقيق د سيد الجميلي.
9. البخاري محمد بن إسماعيل (1407) صحيح البخاري دار ابن كثير اليمامة بيروت الطبعة الثالثة تحقيق د مصطفى ديب البغا.
10. البرغوثي، عماد أحمد، وأبوسمرة محمود أحمد، وعفانة، حسام الدين موسى، والنعمي، حميد مجول الأهلة بين الفلك والفقه نقلا عن مجلة الجامعة الإسلامية - سلسلة الدراسات الشرعية - المجلد الثاني عشر - العدد الثاني ص 223 - 246 يونيو 2004.
11. البهوتي منصور بن يونس (1996) شرح منتهى الإرادات عن المقنع عالم الكتب بيروت الطبعة الثانية.
12. الجديع عبد الله تيسير علم أصول الفقه، مؤسسة الريان - بيروت.
13. الحرائي أحمد عبد الحليم بن تيمية كتب وفتاوى ابن تيمية في الفقه مكتبة ابن تيمية الطبعة الثانية تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي.
14. الحسابات الفلكية د. عبد الرحمن حمزة مغربي أستاذ بحث مساعد قسم الفلك مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية، الدورة الفلكية الشرعية الأولى.
15. الزرقا أحمد بن محمد (1409) شرح القواعد الفقهية دار القلم دمشق الطبعة الثانية صححه وعلق عليه مصطفى أحمد الزرقا.

الترجيح الأصولي في حكم العمل بالحسابات الفلكية

16. الزركشي محمد بن بهادر (1421) البحر المحيط في أصول الفقه دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ضبط نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه د محمد محمد محمد تامر.
17. السبكي، علي بن عبدالكافي، فتاوى السبكي، دار المعرفة لبنان.
18. السلمي العز بن عبد السلام، عبد العزيز بن عبد السلام قواعد الأحكام العز دار المعارف بيروت – لبنان تحقيق محمود بن التلاميذ الشنقيطي.
19. الشوكاني محمد بن علي (1412) إرشاد الفحول دار الفكر بيروت الطبعة الأولى تحقيق محمد سعيد البدري ابو مصعب.
20. الشيخ الزرقا، مصطفى، لماذا الاختلاف حول الحساب الفلكي؟.
21. الشيخ المنيع عبد الله بن سليمان التحديد الفلكي لأوائل الشهور القمرية رجب وشعبان ورمضان وشوال وذو الحجة 1426هـ.
22. الشيخ مولوي، فيصل، السبب الشرعي لوجوب صيام رمضان، بحث مقدم إلى المجلس الأوربي للإفتاء والبحوث، نقلا عن الموقع للمجلس الأوربي للإفتاء.
23. العيني محمود بن احمد عمدة القاري دار إحياء التراث العربي بيروت.
24. الغماري أحمد بن محمد بن محمد بن الصديق (1999م) توجيه الأنظار لتوحيد المسلمين في الصوم والإفطار، دار البيارق، الأردن، عمان، الطبعة الأولى.
25. القراني، أحمد بن إدريس، الذخيرة (1994) دار الغرب بيروت تحقيق محمد حجي.
26. المرادوي علي بن سليمان الإنصاف للمرادوي دار إحياء التراث العربي بيروت تحقيق محمد حامد الفقي.
27. المهندس عودة، محمد شوكت تقويم نسب الخطأ في تحديد أوائل الأشهر الهجرية في الأردن، مقالات المشروع الإسلامي لرصد الأهلة.
28. الموسوعة الكويتية صادر عن وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية الكويت الأجزاء 1 - 23 الطبعة الثانية دار السلاسل الكويت والأجزاء 24 - 38 الطبعة الأولى مطابع دار الصفوة مصر الأجزاء 39 - 45 الطبعة الثانية طبع الوزارة.
29. القرطي، محمد بن أحمد بن أبي بكر، الجامع لأحكام القرآن، (2003)، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، تحقيق هشام سميح البخاري.
30. رضا، محمد رشيد، تفسير المنار (1990)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر.
31. تنبيه الغافل الوسنان على أحكام هلال رمضان لابن عابدين ضمن مجموع رسائله.
32. ثبوت الشهر القمري بين الحديث النبوي والعلم الحديث.
33. د. حميد محمول النعيمي مقالة بعنوان أهلة الشهور الهجرية.

الترجيح الأصولي في حكم العمل بالحسابات الفلكية

34. د بركاني، أم نائل (1428) فقه الوسائل في الشريعة المعاصرة كتاب الأمة العدد 120 رجب لعام 1428 هـ.
35. د. الحميس، عبد الله بن عبد الواحد مفهوم الحساب الفلكي من الناحية الشرعية.
36. د. القرضاوي، يوسف، الحساب الفلكي وإثبات أوائل الشهور.
37. د. زيدان، عبد الكريم (1987) الوجيز في أصول الفقه، مؤسسة قرطبة.
38. شاكرا، أحمد محمد، أوائل الشهور العربية هل يجوز شرعا إثباتها بالحساب الفلكي.
39. مخدوم، مصطفى بن كرامة الله، قواعد الوسائل في الشريعة الإسلامية، دار اشبيليا للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى.
40. مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، بيروت، دار إحياء التراث العربي، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي
41. مقابلة تلفزيونية مع محمد شوكت عودة في قناة الجزيرة في برنامج بلا حدود، الثلاثاء 1428/12/29 هـ - الموافق 2008/1/8 م.